

تفسير البحر المحيط

@ 318 @ لقول الجمهور . والتنوين في إذ للعوض من الجملة المحذوفة ، وهي في التقدير :
فيوم إذ نفخ في الصور وجرى كيت وكيت ، والواقعة هي القيامة ، وقد تقدم في { إِذَا
وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ } أن بعضهم قال : هي صخرة بيت المقدس . .
{ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ } : أي انفطرت وتميز بعضها من بعض ، { فَهِيَ يَوْمَئِذٍ *
إِذَا } انشقت ، { وَاهِيَةٌ } : ضعيفة لتشقها بعد أن كانت شديدة ، { أَشَدُّ خِلْقًا
أَمِ السَّمَاءِ بَنَاهَا } ، أو منخرقة ، كما يقال : وهي السماء انخرق . وقيل انشاقها
لنزول الملائكة ، قال تعالى : { وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ
الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا } . وقيل : انشاقها لهول يوم القيامة . { وَالْمَلَائِكَةُ عَلَى
أَرْجَائِهِنَّ } ، قال ابن عباس : على حافاتهما حين تنشق ، والظاهر أن الضمير في حافاتهما
عائد على السماء . وقال ابن جبير والضحاك : على حافات الأرض ، ينزلون إليها يحفظون
أطرافها ، وإن لم يجر لها ذكر قريب . كما روي أن □ تعالى يأمر ملائكة سماء الدنيا
فيقفون صفًا على حافات الأرض ، ثم ملائكة الثانية فيصفون حولهم ، ثم ملائكة كل سماء ،
فكلما ندَّ أحد من الجن والإنس وجد الأرض أحيط بها . { وَالْمَلَائِكَةُ } : اسم جنس يراد به
الملائكة . وقال الزمخشري : فإن قلت : ما الفرق بين قولك : { وَالْمَلَائِكَةُ } ، وبين أن
يقال : والملائكة ؟ قلت : الملك أعم من الملائكة . ألا ترى أن قولك : ما من ملك إلا وهو
شاهد ، أعم من قولك : ما من ملائكة ؟ انتهى . ولا يظهر أن الملك أعم من الملائكة ، لأن
المفرد المحلى بالألف واللام الجنسية قصاره أن يراد به الجمع المحلى بهما ، ولذلك صح
الاستثناء منه ، فقصاراه أن يكون كالجمع المحلى بهما . وأما دعواه أنه أعم منه بقوله :
ألا ترى الخ ، فليس دليلاً على دعواه ، لأن من ملك نكرة مفردة في سياق النفي قد دخلت
عليها من المخلصة للاستغراق ، فشملت كل ملك فاندرج تحتها الجمع لوجود الفرد فيه فانتفى
كل فرد فرد ، بخلاف من ملائكة ، فإن من دخلت على جمع منكر ، فعم كل جمع جمع من الملائكة ،
ولا يلزم من ذلك انتفاء كل فرد فرد من الملائكة . لو قلت : ما في الدار من رجال ، جاز أن
يكون فيها واحد ، لأن النفي إنما انسحب على جمع ، ولا يلزم من انتفاء الجمع أن ينتفي
المفرد . .

والملك في الآية ليس في سياق نفي دخلت عليه من فيكون أعم من جمع دخلت عليه من ، وإنما
جاء به مفرداً لأنه أخف ، ولأن قوله : { عَلَى أَرْجَائِهِنَّ } يدل على الجمع ، لأن الواحد
بما هو واحد لا يمكن أن يكون على أرجائها في وقت واحد ، بل في أوقات . والمراد ، □

تعالى أعلم ، أن الملائكة على أرجائها ، لا أنه ملك واحد ينتقل على أرجائها في أوقات .
وقال الزمخشري : يعني أنها تنشق ، وهي مسكن الملائكة ، فينضون إلى أطرافها وما حولها
من حافاتهما . انتهى . والضمير في فوقهم عائد على الملك ضمير جمع على المعنى ، لأنه يراد
به الجنس ، قال معناه الزمخشري . وقيل : يعود على الملائكة الحاملين ، أي فوق رؤوسهم .
وقيل : على العالم كلهم . والظاهر أن التمييز المحذوف في قوله : { ثَمَانِيَةَ } أملك
، أي ثمانية أشخاص من الملائكة ؛ وعن الضحاك : ثمانية صفوف ؛ وعن الحسن ، أن أعلم كم هم
، أثمانية صفوف أم ثمانية أشخاص ؟ وذكروا في صفات هؤلاء الثمانية أشكالا متكاذبة ضربنا
عن ذكرها صفحا . .

{ يَوْمَئِذٍ } : أي يوم إذ كان ما ذكر ، { تَعْرَضُونَ } : أي للحساب ، وتعرضون هو
جواب قوله : { فَإِذَا نُفِخَ } . فإن كانت النفخة هي الأولى ، فجاز ذلك لأنه اتسع في
اليوم فجعل طرفا للنفخ ووقوع الواقعة وجميع الكائنات بعدها ؛ وإن كانت النفخة هي
الثانية ، فلا يحتاج إلى اتساع لأن قوله : { يَوْمَئِذٍ } معطوف على فإذا ، و
{ يَوْمَئِذٍ تَعْرَضُونَ } بدل من { يَوْمَئِذٍ } ، وما بعد هذه الظروف واقع في يوم
القيامة . والخطاب في { تَعْرَضُونَ } لجميع العالم المحاسبين . وعن عبد الله : رأى موسى
في القيامة عرضتان فيهما معاذير وتوقيف وخصومات ، وثالثة تتطير فيها الصحف للإيمان
والشمالك . وقرأ الجمهور : { لَا تَخْفَى } بتاء التأنيث ؛ وعلي وابن وثاب وطلحة والأعمش
وحمزة والكسائي وابن مقسم عن عاصم وابن سعدان : بالياء ، { خَافِيَةً } : سريرة وحال
كانت تخفى في الدنيا . .

قوله عز وجل : { فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِرِيْمٍ } فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ
فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُ وَأَكْتَابِيَّةٌ * إِنْ زَيْطَانَتُ أَزْزَى مَوْلًى حَسْبَ بَرِيَّةٍ *
فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ *
كُلُواْ وَاشْرَبُواْ هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ *
وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالٍ فَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُوتِ
كِتَابِيَّ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حَسْبَ بَرِيَّةٍ * يَالَيْتَنِي كَانَتِ الْقَاضِيَةُ *
مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَّةٌ * هَلَاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ * خُذُوهُ وَغُلُّوهُ *